عبد الله النديم

بين الاستخفاء والنفى

١٨٨٢ - ١٨٩٦ م

دكتور

فوزى السيد المصرى

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب - جامعة طنطا

١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

تحتفل مصر فى العام القادم بذكرى مرور مائة عام على وفاة عبد الله النديم خطيب الوطنية ، وأحد تلاميذ جمال الدين الأفغانى الذين تمسكوا بتعاليمه، وأحدالشخصيات التى اضطلعت بالمسئوليات الملقاه على عاتقها فى فترة من أهم فترات النضال فى تاريخ مصر الحديث .

كان النديم ذا عزيمة قوية وإرادة لاتلين حيث واصل نضاله ضد الخديو توفيق وضد التدخل الانجليزى فى شئون مصر ، وكان هجاؤه لهما لاذعاً مراً، ولم يسلم منه حتى السلطان العثمانى الذى تخاذل عن حماية مصر ضد التدخل الأجنبى، مما أثر على حياته بعد ذلك .. وقد استمر النديم فى مواصلة نضاله ضد أعداء الوطن فى فترة الاستخفاء وحتى بعد القبض عليه ونفيه إلى يافا ثم الاستانة حتى توفى بها فى أكتوبر عام ١٨٩٦ م. فاستحق بذلك أن يسجل اسمه فى سجلات الفخار .

ويتناول هذا البحث فترة استخفاء النديم وكفاحه فيها، ويستعرض لنفيه إلى يافا ثم إلى الاستانة ونضاله الوطنى خلال تلك الفترة. وأخيراً يتناول أثر دعوته على الجيل التالى الذى حمل راية النضال من بعده من أجل الاستقلال والحرية .

والله الموفق،

دكتور

فوزى المصرى

الاسكندرية فى ٢٥ فبراير ١٩٩٥

يعد عبد الله النديم الإدريسي نموذجاً فريداً من نماذج الشخصيات في تاريخ مصر الحديث التي اضطلعت بالمسئوليات الملقاه على عاتقها في فترة الثورة العرابية، والنهضة الأدبية، والبعث الاجتماعي لمصر في تلك الفترة، فكان خطيب الثورة ولسان حالها، ولكنه اضطر إلى الإختفاء بعد فشلها ثم ألقى القبض عليه ونفى خارج مصر .

عبد الله النديم في فترة الاستخفاء :

كان عرابى قد فكر هو ورفاقه - بعد فشل الثورة العرابية - فى طلب العفو من الخديو، وكتبوا إليه رسالة ضمنوها رغبتهم، وأرسلوها إليه فى الأسكندرية مع وفد منهم ، ثم عدلوا من صيغة الرسالة الأولى فى رسالة ثانية أرسلوها مع عبد الله النديم ليسلمها للخديو، ولكنه عندما وصل إلى كفر الدوار علم أن الخديو رفض العريضة الأولي وأمر بالقبض على بعض أعضاء الوفد الذي تقدم بها ، فلم يكمل النديم سيره إلى الأسكندرية وارتد عائداً إلى القاهرة بعد أن أيقن بخطورة موقفه وأن الهلاك قريب منه، وخطط للهرب والاستخفاء، ولم يضيع الوقت فى هذا الأمر فما هو إلا «فص ملح وداب» ونشطت الحكومة في البحث عنه ولكن دون جدوى[1] ولما يئست من البحث عنه أعلنت عن مكافأة ضخمة قدرها ألف جنيه لمن يرشد عنه، ولكن رغم ضخامة المكافأة فإنها لم تأت بالنتيجة المرجوة منها، لأن الذين آووه عرفوا مقدار التضحية فى سبيل الوطن ، وقدموا من قبل أنفسهم فداء لوطنهم فى ميدان القتال، فلا أقل من تقديها فى سبيل من بث فى قلوبهم هذا الحس الوطنى الجارف. وظل النديم مختبئاً لمدة عشر سنوات.[2] معتمداً على ذكائه

وحيلة المحكمة ومهارته في التخفي ، ولما فشلت الحكومة في القبض عليه اضطرت إلى محاكمته غيابياً وإصدار حكم غيابي ضده بالنفي المؤبد إلى خارج مصر. (٣)

وكان أول استخفاء لعبد الله النديم في بولاق التي ذهب إليها ليختفي بها أياماً عند صديق له حتى يخف الطلب عليه، وكان خلال تلك الأيام يغير من منظره وملبسه حتى لاينكشف أمره، فكان يخرج لابساً «زعبوطاً» أحمر ومتعمماً بعمامة حمراء، رابطاً عينة بمنديل ، مطيلاً لحيته حتى أيقن الجميع أنه أحد مشايخ الطرق الصوفية، وزيادة في الحيطة والحذر - حتى لاينكشف أمره - كان النديم يتعمد تصنع الفزع لكي يخيف خادمه فيبالغ في التستر وكتم أمر سيده، مما أراح نفس النديم من جهة خادمه الذي لازمه طوال فترة الاستخفاء. (٤)

وكان النديم قد أمضى فترة تخفيه التي بلغت عقداً من الزمان خارج القاهرة، حيث قضى معظمها في قرى مديرية الغربية. (٥) فتنقل خلال تلك الفترة في البلاد متنكراً يدخل كل بلد بلباس مخصوص ، ويتكلم في كل منها بلسان يوافق الدعوة التي يتبعونها، فكان يدعي أنه مغربي أو يمني أو شرقاوي، أو فيومي أو نجدي، وتبعاً لذلك كان يغير من شكل لحيته حسب الدعوى التي يدعيها ، فيطيلها عندما يدعي المشيخة، ويقصرها عندما يدعي أنه سائح، كما كان يغير من لونها في كل بلد يذهب إليه، فهي تارة بيضاء وأخري حمراء ، وثالثة سوداء، ولم يقتصر الأمر على تغيير الشكل والمظهر لينجح في الاستخفاء بل كان يغير اسمه كذلك، فتارة يكون اسمه الشيخ يوسف المدني ، وأخرى بالشيخ محمد الفيومي، وثالثة الشيخ على المغربي،

وفضلاً عن كل ذلك ولمبالغته فى الاستخفاء فقد كان يثير عجب الناس عندما يلتقى بهم ويتشبهون عليه فيقولون «سبحان الله.. جل من لاشبيه له»[٦].

وكانت هناك بعض العوامل التى ساعدت النديم علي الاستخفاء منها مهارته في حيلة، وإتقانه لما يدعى، فإذا ادعى أنه مغربى تكلم اللهجة المغربية باتقان، وإذا ادعي أنه مدنى أحكم لهجتها، وإذا ادعى أنه يمنى أتقن لهجتها، واستمر على ذلك الحال وهو بارع فى حيلة حتى ذاع صيته وبلغت شهرته القاهرة، حتى أن رياض باشا أرسل إليه سعد زغلول فى «القرشية»[٧] ليسأله عن مثل ورد ذكره فى بعض الجرائد ولم يفهم معناه، فقابله النديم على أنه عالم يمنى[٨].

وإمعاناً في التخفى - حين رأى جد الحكومة فى طلبه - استعان النديم برجل فرنسى ليشيع عن هروبه إلى «ليڤورنو» بإيطاليا. ونقلت جريدة الأهرام هذا الخبر فصدقه الناس، ونتج عن ذلك أن الحكومة وجهت لومها إلى رجال الضبط لإهمالهم في القبض عليه. وأدي ذلك إلي أن خف عنه الطلب، - رغم أنه كان خدعة حيث كانت جواسيس الحكومة تبحث عنه فى كل مكان - فكتبت جريدة «المحروسة» عن هروبه إلى الخارج قائله: «إن الأقوال تعددت فى مقر عبد الله النديم، فمن قائل أنه لجأ إلى إيطاليا، ومن قائل أنه هرب إلى طرابلس الغرب، ومن قائل أنه فر إلى السودان واتصل بالمهدى وأصبح من رجاله المقربين، وقال آخرون أنه سافر إلى «سيلان» للالتقاء بأحمد عرابي فى منفاه، ورجح صاحب الجريدة أن يكون المقام قد استقر به في باريس.[٩] .

ومن الجدير بالذكر أنه رغم إمعان النديم في التخفى إلا أن بعض رجال الضبط المتعاطفين معه تعرفوا عليه، فذات مرة التقى به أحد رجال الضبط من الشراكسة وكان يشغل وظيفة «مأمور مركز» وعرفه ذلك الرجل، فأمر جنده بالانصراف ، ثم اختلي به وأخبره أنه عرفه رغم تنكره ثم أعطاه مامعه من نقود ، ورسم له خطة السير حتى لايقع فى أيدى رجال الضبط.(١٠)

وكان النديم في بداية فترة الاستخفاء شديد الحنين لأبيه وأمه وأخيه، ولايعرف ماآل إليه أمرهم، كما كان شديد الشوق إلى كتبه ومؤلفاته التي تركها فى منزل الأسرة بالأسكندرية قبل الهرب، ومن فرط شوقه إليهم طلب من صديقه الفرنسى أن يتحسس الأمر ويأتيه بالأخبار ، وبعد التقصى أبلغه صديقه أن أسرته قد شتتت فى البلاد وتنكر الناس لها، ووضعت الحكومة العيون من حولها، وعلم أن أبيه يقيم عند أقاربه فى الريف ، وأن مؤلفاته قد فقدت حيث أن والده كان قد اصطحبها معه أثناء هجرته من الأسكندرية بعد ضربها، ووضعها فى صناديق كبيرة وشحنها بالقطار، ولكن عندما وصل القطار إلى كفر الزيات ازدحم عليه المسافرون، فلم يجد رجال المحطة بدأ من إلقاء صناديق الكتب فى النيل حتى تتسع العربة للركاب، وبذا ضاعت مؤلفات النديم التي أنفق فيها تسعة عشر عاماً من عمره بين القراءة والتفكير والتأليف.(١١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن النديم كان يتصل بأبيه وأخيه اتصالاً منتظماً بعدما هدأت الأحوال قليلاً وخف الطلب عليه . كما كان باراً بخادمه الذى رافقه طوال فترة الاستخفاء، وكان أميناً على سره، ولذا

كان النديم رحيماً به فغير اسمه من حسين إلى صالح حتى لاينكشف أمره ثم زوجه وعلمه القراءة والكتابة وحفظه بعض سور القرآن الكريم، وعلمه الفقه والتوحيد واتخذه خليلاً طوال فترة الاستخفاء. (١٢) ورغم شدة الأزمات التى واجهت النديم طوال فترة استخفائه إلا أنه لم يستكين لها ، فكان كلما انفرجت إحدى أزماته ووجد شيئاً من الفراغ إلا وشغل نفسه بالدراسة والتأليف، فكان إذا اطمأن فى قرية قرأ كل ماتصل إليه يده من الكتب . وكانت مكتبته خلال فترة الاستخفاء خفيفة يسهل حملها إذا مادعي داعى الرحيل حيث كانت تحتوى على تفسير القرآن لأبي السعود ، وقاموس الفيروزآبادى، والوافي في المسألة الشرقية لأمين شميل ،وجغرافية ملطبرون - ترجمة رفاعة الطهطاوى - وكان يستغل وقت فراغه فى التأليف فيما يعن له فى الدين والتاريخ، وقد استطاع النذيم أن يكتب فى فترة الاستخفاء عشرين مؤلفاً فضلاً عن شغل نهاره بتحرير الجورنال وقضاء ليلة فى دراسة الأحوال، والاشتغال بمجالس الجمعيات الخيرية ومدارسها التعليمية. (١٣)

وقد تمكن عبد الله النديم خلال فترة الاستخفاء أن ينشر ملحقاً لمجلة «الأستاذ » وكان ذلك عبارة عن صفحات من كتاب ألفه وهو فى المخبأ أسماه «كان ويكون» وهدف من تدوينه إلى عرض خلاصة أفكاره في الدين واللغة والسياسة والأدب والتاريخ ملتزماً فيه بحرية الفكر مع عدم التعصب لدين أ ولجنس - وكان النديم قد وضع هذا الكتاب علي نمط قصصى ، دون فيه كل ماكان يدور بينه وبين صديقه الفرنسى(١٤). من حديث وجدل، وكان معظم مانشر به عن أصول الأديان وتاريخ

اليهودية والمسيحية والإسلام، فضلاً عن بعض أخباره في مخبئه، وبعض نظرات سياسية - وكان ما نشر فى هذا الكتاب يدل على بعد نظر مؤلفه وكثرة اطلاعه وسماحته الدينية، وشدة حبه لمصر وشعبها. (١٥)

ورغم مبالغة النديم في الاستخفاء والتنكر إلا أن أمره كشف بعد عشر سنوات من الاختفاء والتنقل بين قرى مديرية الغربية حيث ألقى القبض عليه في شهر نوفمبر ١٨٩١م. (١٦) عندما نزل قرية الجميزة (١٧) وعرفه عمدتها وكتم أمره، لكن رجلاً يدعى حسن الفرارجى - كان جندياً سابقاً ثم استخدم جاسوساً - عرفه، فكتب إلى السراى وإلى الداخلية التي أمرت بالقبض عليه وذهب وكيل حكيمدار الغربية ومعه قوة من الجند فالتفوا حول القرية ، وحاول النديم الهرب ولكن الحيل لم تسعفه فاضطر إلى تسليم نفسه. ومن حسن حظه أنهم لم ينتبهوا إلى أوراقه التي كان فى بعضها هجاءً مراً للخديو توفيق لو اطلعوا عليه لتغير مجرى حياته ، وبعد القبض عليه أرسل إلى طنطا للتحقيق معه، وكان وكيل النيابة الذى كلف بالتحقيق معه وقتئذ هو قاسم بك أمين الذى أحسن معاملته، وأمر بتنظيف مكانه فى السجن وإضاءته والسماح له بشرب القهوة والدخان ، وأعطاه نقوداً من جيبه، وانصب التحقيق معه حول معرفة من آواه، وهل كانوا يعرفونه أو لا؟ ولكن النديم أنكر أن يكون أحد ممن آواه يعرف حقيقته. وبعد الانتهاء من التحقيق صدر أمر الخديو توفيق بالعفو عنه، (١٨) وابعاده خارج مصر، فاختار يافا ونزل بها أوائل عام ١٨٩٢. (١٩)

نفي النديم إلي يافا للمرة الأولى:

عندما صدر أمر الخديو توفيق بالعفو عن النديم وابعاده عن مصر إلي أى جهة يشاء فاختار يافا ونزل بها، فأكرمه أهلها واتخذ بها داراً جعلها منتدى للأدباء والعلماء، وطاف فى ربوع فلسطين يشاهد آثارها، ويحج إلى مزاراتها، ويجتلى حسن طبيعتها، وظل النديم فى منفاه الاختياري حتى توفى الخديو توفيق وتولي الخديو عباس الثانى الحكم فأصدر أمراً بالعفو عنه، وسمح له بالعودة إلى مصر فى نفس العام الذى نفى فيه، وبعد عودته إلى مصر فكر طويلاً فيما يفعل وإلى أين يذهب. وتردد بين القاهرة والاسكندرية ثم اتخذ قراره بالإقامة فى القاهرة(٢٠) وأنشأ بها مجلة اسبوعية اسماها «الأستاذ» عام ١٨٩٢. فكانت صفحة جديدة في تاريخ نضاله حيث هدف من ورائها إلى تحقيق الاصلاح الاجتماعي واصلاح التعليم والدفاع عن الشرق ضد الغرب، وشحذ همم المصريين، فحققت من الشهرة والانتشار في شهور مالم تحققه المجلات الأخرى فى أعوام، ولعبت دوراً فى تقوية الشعور الوطنى لدي المصريين في تلك الآونة(٢١).

وقد وصف «فاتيكيوتيس» Vatikiotis هذه الفترة بأنها الفترة التى وصلت فيها الصحافة المصرية إلى مرحلة النضج بعد أن تخلت عن رسميتها وفجاجتها التى كانت عليها قبل الاحتلال الانجليزي(٢٢). مما أدي إلى استيقاظ الشعب المصرى وتحمسه بعد فترة الذهول، وهو ماكانت تخشاه سلطات الاحتلال، خاصة بعد تحسن الأحوال المعيشية وتحول الناس إلي المشاركة فى الحياة السياسية.(٢٣) وماكان ذلك ليحدث إلا بالمقالات الجريئة التى نشرها النديم فى مجلة الأستاذ

هادفاً من ورائها إلى مقاومة الاحتلال البريطاني وكشف خباياه وتحقيق الإصلاح الاجتماعي .

ولم يقتصر النديم في مقالاته التي نشرها بجريدة الأستاذ علي مناهضة الانجليز وشحذ همم المصريين فقط بل تعداه إلي سب المؤيدين للانجليز، وهيج الناس علي المبشرين وطرق التبشير مما أدى إلى تأليب الجرائد المعارضة له الحكومة عليه وتحذيرها منه، وقالت أنه يعد البلاد لفتنة بين المصريين والأجانب، وأنه يهيئ الثورة كالثورة العرابية، ونصحت الانجليز بأخذ حذرهم منه وإلا ساءت العاقبة، كما وصفته تلك الصحف بأنه متعصب للدين، وأنه ثورى مهيج، ولكنه لم يأبه لكل ذلك واستمر في منازلة خصومه والتشهير بهم، مما حدا باللورد كرومر أن يطلب من الخديو عباس نفيه فانصاع للأمر، وودع النديم قراءه فى آخر عدد من جريدة «الأستاذ» الذى صدر في ١٣ يونيه ١٨٩٣ م(٢٤).

نفى النديم إلى يافا للمرة الثانية :

اختار النديم مدينة يافا مقراً لمنفاه للمرة الثانية، ومنحته الحكومة مبلغ أربعمائه جنيه يستعين بها على سفره ثم رتبت له مبلغ خمسة وعشرين جنيهاً شهريا يعيش بها، على ألايكتب شيئاً فى الصحف يتصل بسياسة مصر، فغادر مصر إلى يافا فى منتصف يونيه ١٨٩٣م، (٢٥) وهناك عاد النديم إلى سيرته الأولي حيث التف حوله العلماء والمثقفون والأعيان ولم يستطع أن يفي بوعده للحكومة المصرية، حيث وسع من دائرة حديثه فانتقد احتلال الانجليز لمصر فضلاً عن نقد

سياسة الدولة العلية والتلميح إلى دكتاتورية السلطان وضعفه أمام الانجليز وتخليه عن مصر فى محنتها ، وبذا انتقل ميدان كفاحه من القاهرة إلى يافا؛ إلا أن العيون تربصت به فكانت له بالمرصاد، وكانت تقارير الجواسيس تحذر من خطورته على كل من الانجليز والسلطان معاً. (٢٦) ولذا أصدر السلطان أمره بابعاده من يافا التى أمضى بها أربعة أشهر (٢٧) كما قضى الأمر بابعاده من الأراضى التابعة لتركيا. (٢٨)

نفى النديم إلي الآستانة :

طبقاً للأمر السلطانى أصبح النديم بدون مأوى حيث أصبح ممنوعاً من دخول مصر أو الأراضى التابعة لتركيا، وأقلته الباخرة إلى الأسكندرية، فأقام بها أياماً أخرى حتى تحل مشكلته وقابله خلالها الغازى مختار باشا مندوب السلطان العثمانى وزين الدين له السفر إلى الاستانة . وكان كثير من أحرار العثمانيين من ذوى الأفكار المتحررة آنذاك قد فروا إلي أوربا ومصر وأنشأوا الجرائد يطالبون بالدستور واصلاح أحوال الدولة ويوجهون النقد اللاذع للسلطان، ولذا كان من سياسة السلطان عبد الحميد استرضائهم وترغيبهم فى الإقامة بالأستانة حتى يكونوا تحت سمعه وبصره ، فيجرى عليهم الرزق ويسند إليهم الوظائف ويمنعهم من الاتصال بخارج تركيا فيصبحون سجناء فيها وبذلك يتقى شرهم، وتبعاً لهذه السياسة فقد احتشد فى الاستانة العديد من أرباب القلم والفكر وعلى رأسهم السيد جمال الدين الأفغانى الذى دخل القفص السلطاني عام ١٨٩٣م ولحق به النديم ، ولكن مع الفارق فى المعاملة المادية ، فالأفغانى خصص له قصراً فخماً وعربه وخدم وحشم

- كانوا بمثابة عيون عليه - فضلاً عن الحصول على خمسة وسبعين جنيهاً شهرياً. أما النديم فعين مفتشاً للمطبوعات بالباب العالى نظير الحصول على مرتب شهرى قدره خمسة واربعين جنيها مضافا اليها مبلغ خمسة وعشرين جنيهاً كان يتقاضاها من مصر، فكان ذلك يعينه على الإنفاق علي نفسه وإخوانه. (٢٩)

وكانت الأستانه سجناً للنديم صمت فيه قلمه وسكت فيه لسانه وعطلت فيه مواهبه فلم يعد هناك مجال للخطابة أو الكتابة أو التعبير عما يجيش بخاطره من أفكار يدعو فيها إلي الحرية بل أصبح فى وسط يكاد يختنق فيه من كثرة العيون التى ترصده، وكان لايفرج عنه هذا الضيق إلا مجلس استاذه جمال الدين الأفغانى يحادثه ويسامره، وكان كلاهما يشكو لصاحبه تعذيب روحه الحبيسة فى القفص إذ كانا شريكين فى الجهاد، نفيا وحبسا فى قفص السلطان، فجمعت بينهما المحنة والغربة وتجسدت بينهما روابط الأخوة والاتحاد أمام هذا المصير المشترك. (٣٠) .

وخلال فترة نفيه بالأستانة نال النديم الحظوة لدى السلطان، وتعرف بكثير من ذوى الفضل من الوزراء ورجال الدولة(٣١) وكان فى حاشية السلطان عبد الحميد آنذاك داهية أكبر يدعى أبا الهدي الصيادى الذى كان قادراً على معرفة نفوس الناس ويعرف من أين تؤتى ، فاتخذ طريق الصوفية وانتحل لنفسه أعلي نسب، وله أتباع فى كل البلاد كانوا بمثابة عيون تأتيه بالأخبار من كل صوب، فيستغلها عند السلطان وتدخل فى شئون السياسة والإدارة والجيش حتى لقب بعدة ألقاب منها «مستشار الملك» و«حامى العثمانيين» واتخذ منهم الأمراء والأعيان أعواناً له

علي مـايريد ، وكـان العلمـاء يؤلفـون الـكتب وينسبـونهـا إليـه، وينظم الشعراء القصائد ويدعونها له، وزاد نفوذه لدى السلطان حتى استولى على تفكيره وحواسه، فأصبح مطاع الكلمة لايعصى له أمر، ولم يكن ميـالاً لحب الخير وأهله حتى لقب - وقتئذ - بشيطان تركيا، ولما رأى مـاجمـال الدين من حظوة لدى السلطان ، خـاف على مركزه لديه وأخذ يكيد لجمـال الدين عنده ليفقده ثقته، وكـان السلطان يسمع لتلك الوشايات ويفضى بها إلى جمال الدين ليكره أبا الهدى، وكان هدفه من ذلك أن يرى حاشيته في شقاق حتى لايتآمروا عليه. (٣٢)

وكانت صداقة النديم لجمال الدين سبباً فى أن يلحقه غضب أبى الهدى الصيادى حيث كان دائم الوشاية به والشكاية منه إلي السلطان باستمرار، ومما زاد من كره أبى الهدي للنديم أنه مصرى الجنسية، حيث أن واحداً وعشرين عالماً مصرياً كانوا قد أفتوا بتكفيره وزندقته، ومن ثم فهو يمقت مصر والمصريين على حد سواء، ونفث عن مقته هذا فى كرهه وكيده لعبد الله النديم. (٣٣)

وعلى الرغم من قوة أبى الهدى الصيادى إلا أن النديم لم يتحرز من خصامه ومنازلته، وأطلق فيه لسانه ووضع فيه كتاباً أسماه «المسامير» استعمل فيه النديم أسلوباً وضيعاً لمنازلة أبى الهدى وهجاه فيه هجاءً مراً. وبلغ أمر هذا الكتاب إلى أبى الهدى ، فأبلغ السلطان أن هذا الكتاب ذاخر بهجائه ، فأمر السلطان بالبحث عن الكتاب ولكن دون فائدة حيث استطاع «چورج كرتشى» صديق جمال الدين والنديم أن يهرب به إلى مصر ثم يطبعه فيه. (٣٤)

لقد وجد النديم فى خصومته لأبي الهدي متنفساً لنفسه المكبوتة، فأخذ يفضح دسائسه وتقاريره الكاذبة للسلطان وتلاعبه بالدين وانتسابه للطرق الصوفية بما يسود وجه أبى الهدى ، فاضطر الأخير إلى الاستنجاد بالسلطان ضد النديم ، فدعا السلطان النديم إلى قصر الخلافة وطلب منه أن يكف عن هجاء أبى الهدى فصاح النديم بأعلى صوته «لقد قلد مولانا السلطان أبا الهدي وسام الافتخار فلألبسنه أنا وسام العار يلازمه في حياته ويصحبه فى قبره بعد مماته». وبر النديم بوعده فكان كتابه «المسامير» الذى كال فيه لأبى الهدى وأسرته بكل أنواع الرذائل وأخط الموبقات. (٣٥)

وقد تمكن "چورج كرتشى» أن يهرب الكتاب إلى مصر ويطبعه بها طباعة أنيقة . وكان ذلك الكتاب يقع في أربع وتسعين صفحة ويتكون من مقدمة وتسعة مسامير، ومزوداً بصور كاريكاتورية لكل مسمار، وأعلن النديم أن هذا هو الجزء الأول وسوف تليه بقية الأجزاء إلا أنه لم يظهر غيره. (٣٦)

وفى عام ١٨٩٤م زار الخديو عباس الثانى الأستانة واتصل بالنديم الذى كان سفيرا له لدى السلطان. وجري النديم فى ذلك الأمر بين الخديو والسلطان ليتوسط فى زواج الخديو من إحدى بنات السلطان وكاد ينجح فى مسعاه لولا أن أبا الهدى اثار خوف السلطان من هذا الزواج، معلنا أنها خدعه انجليزية يراد بها انتزاع الخلافة من تركيا ونقلها إلى مصر حين يولد لعباس ولد من ابنة السلطان، وسوف يتخذه الانجليز ذريعه وينادون به خليفة على المسلمين، وصدق السلطان كلامه ورفض هذا

الزواج، وفضلا عن ذلك فقد انتهز أبا الهدى فرصة لقاء الخديو بجمال الدين والنديم وهما يتنزهان فى حديقة الكاغدخانه ودس لهما عند السلطان، حيث قرر بانهما بايعاه تحت الشجرة على أن يؤسسا له خلافة عباسية وصدق السلطان الدسيسة وكانت أزمة جديدة بينه من ناحية وبين جمال الدين والنديم من ناحية أخرى(٣٧).

وخلال زيارة الخديو عباس الثانية لتركيا عام ١٨٩٥م استأذنه النديم فى أن يصحبه معه فى رحله العودة إلي مصر، فوافق الخديو واصطحبه معه على ظهر الباخرة، ولكن دسائس أبى الهدى حالت دون ذلك حيث أسر الي السلطان بأن المؤامرة التى احيكت تحت الشجرة فى حديقة الكاغدخانه فى العام الماضى قد أوشكت على أن تؤتى ثمارها وأخبره بفرار النديم من الاستانه برفقه عباس بدون اذن السلطان ليتم فصول المؤامرة في مصر، وصدق السلطان أبى الهدى كعادته وأمر بحجز الباخرة فى مضيق الدردنيل واعادة النديم إلى الاستانة مرة أخرى تمهيدا لنفيه إلى إحدى الولايات البعيدة المهجورة حتى لايقابل أحدا من اصدقائه، ولما علم النديم بذلك ثار ثورة عارمة وأرسل تلغرافا إلى السلطان الذى اكبر فيه عزة نفسه وعفا عنه دون أن يسمح له بالعودة الى مصر (٣٨).

لم تطل حياة النديم في الاستانة بعد ذلك حيث أصيب بالسل الرئوى، ولما أحس بدنو أجله أرسل تلغرافا إلى اخيه وأمه يستعجلهما بالسفر إلى الاستانة ليراهما قبل أن يوافيه الأجل المحتوم، ولكنه توفى

في يوم ١ أكتوبر ١٨٩٦م قبل أن يتحقق أمله في رؤية ذويه، فبكاه محبيه، وأمر السلطان بالاحتفال بتشييع جنازته رسميا، وسار فيها كبار رجال الدولة وعلمائها حتى ووري التراب في مدفن يحيى افندي في «باشكطاش» فسكت خطيب الشرق إلي الأبد(٣٩).

أثر دعوة النديم علي الجيل الجديد :

مات النديم الكاتب والشاعر والأديب، والخطيب الوطني المفوة، واحد تلاميذ جمال الدين الافغاني الذين تمسكوا بتعاليمه(٤٠). ولكن دعوته لم تمت حيث تسلم رايه الكفاح من بعده تلاميذ، وعلى رأسهم مصطفى كامل الذي قاد المرحلة التالية من الكفاح الوطني(٤١) الذي كان ضرورة تاريخية ملحة في تلك الفترة ، ولكن الفضل يعود إلى مصطفى كامل في حمل رايته. (٤٢)

ونجح مصطفى كامل في هذا المجال إلى أبعد حد حيث انجذب إلي فكر النديم بشدة واهتم بتوليد قوة للنضال ضد بريطانيا بعد أن فهم من خطب النديم ومولفاته دسائس السياسة الانجليزية التي أدت إلى فشل الثورة العرابية وكانت وسيلته لذلك هي الاعتماد على القوي الداخلية والخارجية لتحقيق مايصبو إليه، فاعتمد في الداخل علي تأييد الخديو كسلطة شرعية قي البلاد، أما في الخارج فقد اعتمد علي فرنسا التي عول عليها كثيراً لحل المسألة المصرية. (٤٣)

وهكذا يتضح لنا مدى عظمة النديم وشجاعته التى تمثلت في حياته الحافلة بالنضال والكفاح فى سبيل وطنه، وقد وجدت دعوته صداها لدى جيل مناضل من شباب مصر - الذين قادوا المرحلة التالية من مراحل الحركة القومية فى سبيل الاستقلال والحرية وتحقيق الغاية بأن تكون مصر للمصريين - فاستحق بذلك أن يسجل اسمه في سجلات المجد والفخار .

هوامش البحث

(١) أحمد أمين : من زعماء الإصلاح، ص٦٧، ٦٨ .

(٢) عمر عبد العزيز عمر: دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص٢٨٤ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص٦٨ .

(٤) أحمد أمين : نفس المرجع والصفحة .

(٥) عبد المنعم ابراهيم الجميعى: عبد الله النديم، الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ، حـ١، ص٣ .

(٦) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص٦٩ .

(٧) القرشية : أحد ضواحى مدينة طنطا بمديرية الغربية .

(٨) أحمد أمين: نفس المرجع: ص٦٩ .

(٩) أحمد أمين: نفس المرجع: ص٦٨، ٦٩ .

(١٠) أحمد أمين: نفس المرجع: ص٧٠ .

(١١) أحمد أمين: نفس المرجع: ص٧٠، ٧١ .

(١٢) أحمد أمين: نفس المرجع: ص. ص٧١- ٧٣ .

(١٣) أحمد أمين: نفس المرجع: ص٧١، ٧٢ .

(١٤) كان هذا الصديق الفرنسى قد أتي من باريس قبل الثورة العرابية وتعلم اللغة العربية والتركية وأقام في مصر متتبعاً حوادثها وتعرف علي عبد الله النديم فى الأسكندرية عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥م) وتوثقت بينهما الصلة ، وكان له ضيعه قريبة من البلدة التي اختبأ فيها النديم، مما أتاح له زيارته فى مخبئه والقيام بكل مايحتاجه من خدمات. أحمد أمين نفس المرجع،ص٨١.

(١٥) أحمد أمين: نفس المرجع والصفحة .

(١٦) عبد المنعم براهيم الجميعى: المرجع السابق ، حـ١، ص٣.

(١٧) الجميزة : إحدى قرى مديرية الغربية .

(١٨) أحمد أمين: المرجع السابق، ص٧٣، ٧٤ .

(١٩) عبد المنعم ابراهيم الجميعي: المرجع السابق، حـ١، ص٣ .

(٢٠) أحمد أمين: نفس المرجع: ص٧٤ .

(٢١) عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق ، ص٢٨٤، ٢٨٥ .

(٢٢) Vatikiotis. P. J. : The Modern History of Egypt. P - 166 .

(٢٣) Little . Tom: Egypt. P. 95.

(٢٤) عبد الرحمن الرافعى: مصر المجاهدة في العصر الحديث، التراجع والانتكاس من الاحتلال إلى ثورة ١٩١٩ ص٢٠ .

(٢٥) على الحديدى: عبد الله النديم خطيب الوطنية، ص٣٨١ .

(٢٦) علي الحديدى: نفس المرجع ، ص٣٨٢ .

(٢٧) أحمد أمين: المرجع السابق: ص٨٢ .

(٢٨) علي الحديدى : المرجع السابق، ص٣٨٢ .

(٢٩) أحمد أمين : المرجع السابق، ص٨٢، ٨٣ .

(٣٠) علي الحديدى : المرجع السابق ، ص٣٨٤ .

(٣١) عبد المنعم ابراهيم الجميعى: المرجع السابق، حـ١، ص٣ .

(٣٢) علي الحديدى: المرجع السابق، ص٣٨٤، ٣٨٥ .

(٣٣) على الحديدى : نفس المرجع ، ص٣٨٦ .

(٣٤) أحمد أمين: المرجع السابق، ص٨٥، ٨٦ .

(٣٥) علي الحديدى : المرجع السابق، ص٣٨٦، ٣٨٧ .

(٣٦) علي الحديدى : نفس المرجع ، ص٣٨٨ .

(٣٧) على الحديدي: نفس المرجع ، ص٣٨٩ .

(٣٨) على الحديدى : نفس المرجع ، ص٣٨٩، ٣٩٠ .

(٣٩) أحمد أمين : المرجع السابق، ص٨٦ .

(٤٠) عبد الرحمن الرافعى: عصر إسماعيل، حـ١ ، ص٢٦٥ .

(٤١) عبد المنعم ابراهيم الجميعي: المرجع السابق، ص٤ .

(٤٢) Rothsein. T. : Egypt's Ruin. P. P. 342 - 343.

(٤٣) نعمات أحمد عثمان : تاريخ الصحافة السكندرية ١٨٧٣ - ١٨٩٩ ، ص٣٢١، ٣٢٢ .

مراجع البحث

أولاً : المراجع العربية :

١ - أحمد أمين : من زعماء الإصلاح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ .

٢ - عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل ، حـ١، طبعة ثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م .

٣ - ———— : مصر المجاهدة في العصر الحديث، التراجع والانتكاس من الاحتلال إلى ثورة ١٩١٩م، طبعة ثالثة، دار الهلال، القاهرة ، ١٩٩٠م .

٤ - عبد المنعم ابراهيم الجميعي: عبد الله النديم ، الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ، حـ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤ .

٥ - على الحديدى: عبد الله النديم ، خطيب الوطنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م .

٦ - عمر عبد العزيز عمر : دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٨٣م .

٧ - نعمات أحمد عتمان : تاريخ الصحافة السكندرية ١٨٧٣ - ١٨٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.

ثانياً: المراجع الأجنبية :

(١) Little - Tom: Egypt, 1958

(٢) Rothsein. T. : Egypt's Ruin, London,1910

(٣) Vatikiotis. P. J. : The modern Egypt, London 1969



رقم الإيداع ١٩٩٥/٨٣٤٩
الترقيم الدولى I. S. B. N
977 - 00 - 9320 - 3